

إخوان تركيا وشيعة إيران.. تسييس الحج والعمرة

أردوغان يستفيد من تظاهرة محدودة لأعضاء في حزب السعادة في الحرم المكي



جهاد دعائي

القضية، وتمتلك تركيا وقواعد تنظيمية على أراضيها ومن يتحالف خارجياً، والثاني طرف عربي من حكومات وشعوب، يعادي المشروع الإسلامي ويضع القضية الفلسطينية ويرفض أي فعل لنصرتها ولو كان هتافاً من أجل الأقصى، أما بالنسبة لحزب السعادة التركي، ابن التجربة الأريكانية الإخوانية الأصلية، والكيان الذي يعتبر أعضاؤه انتماءً، أيها الظالمون أيها الصهاينة، مطالباً رئيس الدولة الإخواني باتخاذ موقف حقيقي ضد التطبيع التركي مع الكيان الإسرائيلي، لأنه مبرر تنظيمياً بأنه لصالح القضية الفلسطينية.

في عقيدة التنظيمات الدينية لا يوجد مقدس إلا التنظيم، ولا اعتراف بحرمه مكان أو شعيرة إلا وفق معايير قيادات التنظيم

اكتفى رئيس الحزب، كرم الله أوغلو، ببیان عقب إعلان تراب صفقة القرن قال فيه "أقول بكل جسارته نابعة من عقيدتنا، أيها الظالمون أيها الصهاينة، أيها الامبرياليون العنصريون إن فلسطين كانت منذ الأزل وسنظل إلى قيام الساعة بلدة من البلدان الإسلامية، فليعلم الجميع ذلك".

لم يطالب أوغلو الذي ساق قواعده إلى الهتاف داخل الحرم المكي وفي ساحات تركيا، الرئيس أردوغان باتخاذ موقف بسحب سفيره من إسرائيل وأميركا أو طرد سفيريهما في أفقره، كما لم يطلب من غريمه ومناقسه على منصب رئاسة البلاد سابقاً وحاكمها حالياً، أن ينسحب من الاتفاقات التركية الإسرائيلية.

ولم يطلب من قواعده السفر إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة رسمياً، أو عبر الاتفاقات التنظيمية ليقوموا بدورهم الذي طالما رددوه "الجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمن أمانيتنا"، وتفعل شعار "بإذن الله بالدم نقدك يا أقصى" الذي جعل به أعضاء حزبه في ساحة الحرم المكي المكرسة لعبادة الخالق.

تؤكد أبعاد مشهد معتمري السعادة في الحرم المكي، أنهم إخوان قرروا ممارسة جهادهم الدعائي في الحرم المكي، حيث تصبح السلطات السعودية في مرمى استهدافهم، وأن واجهتهم أصبحت "تحارب المعتمرين في رحاب البيت الحرام لصالح المحتل الإسرائيلي". وإذا قررت الرياض ضبط النفس في التعامل مع الموقف تكون اللقطة كفيلاً لتتحول إلى مادة في يدي الأذرع الإعلامية التنظيمية التي تعتبرها بطولة وجهاد وانتصاراً للأقصى، وتتخذها منصة قفز لمواجهة العدو الحقيقي ممثلاً في كل نظام يعارض التنظيم وخليفته.

الطاوله عبر توجيه اتهاماتها لحكام وشعوب الدول العربية، المناوئة للمشروع الإخواني وأردوغان معه، باعتبارهما المسؤول الأوحده عن ضياع القدس وقتل القضية الفلسطينية. ورغم ارتفاع حدة الخطاب التنظيمي في هذا الصدد، إلا أن سؤال المخدوعين في الإخوان ظل يطارد قيادتهم أين الدور التركي؟ بمجرد ظهور المقطع المصور لمعتمري حزب السعادة، والحامل لنفس فكرة الدين السياسي الأم التي يمضي وفق أدبياتها أردوغان وحزبه والتنظيم وقواعده وقادته، قرر التنظيم استغلال المشهد الموافق لمبادئه، والتابع من نفس فكرته، ليستمر به عورته التي تبث للعالم عقب إعلان الرئيس الأميركي دونالد ترامب لصفقة القرن، حيث أن فعل التنظيم لم يتجاوز بياناً للجماعة وصرخات إعلامية في أستوديوهات مدفوعة الأجر.

بدا التنظيم التسويق للمقطع المصور مفجراً حالة جدل حول صحة ما حدث بالحرم، وإن كان جائزاً شرعاً أم لا؟ ثم تعدد تسويق المقطع باعتباره مجرد معتمرين أتراك، بما ينسب الحدث لتركيا الأروغانية، ويقطع الطريق على من يُقر أن يسوق الحدث باعتباره فعلاً من حركة معارضة لأردوغان وحزبه، تؤهل لأن يتم تناولها سلباً ضده باعتباره أن حزب السعادة فعل مفرداً ما لم يفعله الإخوان أو حزب الرئيس المنتخب، وهو فعل وفق الأدبيات التنظيمية يُعتبر بطولة وجهاداً وكلمة حق في وجه سلطان جائر.

استثمار سياسي

في المرحلة التالية، انتقل الاستثمار التنظيمي من الحديث عن مشروعية الفعل إلى وجوبه عبر تضافر جهود الإعلام الإخواني والتركي والقطري، ويتصدر وجوه تنظيمية تتبع جهاز الدعوة، في مقدمتهم فاضل سليمان وعصام تليمة، ليصل الإفتاء الإخواني إلى ترقية الفعل إلى مرتبة "الجهاد والصراع بالحق"، باعتبار الهتاف في الحرم "فعلًا شرعيًا قطعي الإباحة"، يعارضه ما يصفه التنظيم بـ"محور الممانعة للمشروع الإسلامي"، ويسميه على الشائعات "مصر- السعودية- الإمارات- البحرين". أصبح العنوان الذي يتصدر الإعلام التنظيمي، هو غضب مصري إماراتي سعودي من هتاف معتمرين أتراك للأقصى، وبهذا تحول المعركة بعيداً عن الساحة الفلسطينية، ويكون طرفاً، الأول يرفع راية الإسلام ومناصرة

التنظيم بالتسويق للمقطع واعتبره رمز مقاومة بحسب مصدر تنظيمي على اتصال مباشر بالمشهد التركي الإخواني، وتحدث معه كاتب هذه السطور، فإن مازقاً خرجا يواجه أردوغان والإخوان في تركيا أمام قواعدهم من جهة، وأمام الرأي العام المتعاطف من جهة أخرى، حيث تتصاعد وتيرة التساؤل القاعدية عن سر اكتفاء أردوغان بخطبه العنصرية في مواجهة إسرائيل وصفقة القرن الأمريكية. يُضيف المصدر أن القاعدة التنظيمية المحتشدة على الأراضي التركية، تمثل الأكبر عدداً والأكثر تنوعاً من أرجاء العالم، ولا يُعيق حركتها نظام أو حكومة، بل يُمخّلان ظهوراً لها، وبالتالي فإن القواعد التي كانت القضية الفلسطينية والأقصى أحد أسباب بيعتها للتنظيم، ترى أنه لا ينقصها من أجل أن تلبى نداء الجهاد لتحرير فلسطين إلا أن يطلعه أردوغان فلماذا لا يفعل؟

احتياط على الجماهير

مع تصاعد الخطاب الأروغاني والإخواني المهاجم لموقف الأنظمة العربية والإسلامية من القضية، تتصاعد وتيرة الأسلحة القاعدية من قبيل، أردوغان حاكم البلاد فلم لا يفتح باب الجهاد؟ الإخوان يحكمون تركيا والأولى بهم أن يكونوا القدوة في قطع العلاقات مع إسرائيل وطرد سفيرهم؛ وكيف يكون الحاكم في تركيا إخوانياً إسلامياً وله اتفاقيات مُتعددة مع دولة الاحتلال؟

هذه الأسئلة واجهتها إدارة التنظيم الإخواني داخلياً عبر ما تُسميه أدبيات التنظيم "وضوح رؤية داخلية"، اعتمد على عدة نقاط أساسية، حصل كاتب المقال على أهمها وهي بنص المصدر:

- 1 * إدارة أردوغان تواجه حرب خفية دولية متعددة الأطراف داخلياً وخارجياً.
- 2 * حال تصعيد أردوغان الموقف من إسرائيل، ستتحول الحرب عليه من السر إلى العلن، وهو ما يُريده أعداؤه ليتخلصوا منه ومن نموذجها.
- 3 * الدبلوماسية وضعها مختلف وقيادة الدولة وشؤونها تختلف عن العمل الثوري والتنظيمي.
- 4 * رأي الإخوان في حركة حماس الفلسطينية يؤكد أنهم أقوى في مواجهة الاحتلال بوجود أردوغان وهم من طالبوه بعدم الدخول في صدام مع إسرائيل.
- 5 * الرسول صلى الله عليه وسلم قبل بالصلح مع قريش رغم ما فيه من غبن للمسلمين، لأنه كان فرصة لترتيب البيت الإسلامي من الداخل تمهيداً للفتح.

ساهمت هذه الظروف في تهدئة القواعد، وبقي أمام التنظيم أزمة تسكين جمهور عريض من المخدوعين بشعاراته الدينية وتجارتها بالقضية الفلسطينية والقدس، بما يحافظ على علاقاتهم بالتنظيم، ويبيّض وجه الخليفة المزوم، فعمدت الآلة الإخوانية إلى قلب

قررروا استخدام حصانة الحرم المكي في مواجهة رئيس المجلس العسكري السوداني عبدالفتاح البرهان في أثناء أداء الرجل لمناسك العمرة، وراحت جموعهم تهتف مخاطبة البرهان داخل الحرم "مدنية.. مدينة"، في إشارة إلى رفض الحكم العسكري في الخرطوم. لا تنطلق هذه المواقف دون تصاريح شرعية وتنظيمية وسياسية، وجميعها واحدة رغم اختلاف التنظيم ومرجعياته، حيث تقوم على ادعاء أن الهتاف لا يناقض الشعارات الإسلامية، لأنه هتاف لأمير بخص المسلمين في مكان خاص بالمسلمين، وما تعتمد إليه الآلة التنظيمية من تاصيل لاستغلال دور العبادة يتساوى فيه الحرم المكي والحرم المدني، مع أصغر المساجد أو الزوايا في المناطق النائية. هذا الاستعمار لا يُمثل إلا تطبيقاً لمنهج إسلامي يتعلق بإدارة شؤون الدولة من داخل المسجد، الأمر الذي يجعله عند التنظيم ساحة تجنيد وقاعة اجتماع ومحطة لقاءات لمظلي التنظيم الوافدين من أنحاء القطر الواحد، من أو الأقطار المختلفة في حال الحرمين.

المثير أن حالة العداء التنظيمي بين أردوغان وحزبه من جهة، والسعادة من جهة أخرى، لا تُبرز تسويق التنظيم الإخواني والإعلام التركي لحادثة معتمري السعادة، حتى وإن توافقت مع أجندة التنظيم، الأمر الذي يطرح سؤالاً هو: لماذا قام

تجد الحركات الإسلامية، سنية وشيعية، نفسها دائماً في مازق اختبار أدبياتها الأيديولوجية إزاء الكثير من القضايا الراهنة، ما يضطرها إلى العزف على وتر الوجدان الديني لتحويل الأنظار عن القصور الذي يعترتها. ولعل مشهد الهتاف السياسي الذي أطلقه معتمرون أتراك في الحرم المكي "نصرة للقضية الفلسطينية"، يذكر أولاً بالتوظيف السياسي الإيراني للحج، ويعبر ثانياً عن الدأب الإخواني القائم على تحويل الأنظار عن العجز السياسي وإحراج الخصوم.

التنظيم، ولا اعتراف بخُرمة مكان أو شعيرة إلا حسبما تحدد قيادات التنظيم، ولا ولاء لوطن أو نظام غير ذلك الذي يرضى عنه مُشزعو التنظيم، ولهذا لا يوجد ما يدعو إلى الصدمة حين تنقل وسائل الإعلام صوراً لاحتلال الحرم المكي من قبل ميليشيا شيعية دخلت إلى بيت الله الحرام في زي حُجّاج أو معتمرين. كما لا مفاجأة في تحويل السعي بين الصفاء المروءة إلى مسيرة تنظيمية من إخوان تركيا لنصرة الأقصى، فكلًا الموقفين صادر عن نفس المنهج الذي يعترف مؤرخوه رسمياً بأن موسم الحج عام 1948 استخدم كستار لأعلى اجتماع تنظيمي بين قيادة سنية وظهيرتها الشيعية، وحسب النص التنظيمي "شهد موسم الحج 1948 أعلى اجتماع تشاوري بين حسن البنا وآية الله الكاشاني".

تغيب العقول

تعمدت المعالجات التنظيمية اعتبار الفاعلين من المعتمرين الأتراك، دون إشارة إلى أنهم وفد من أكاديمي الجامعات من أعضاء حزب السعادة التركي، وهو الحزب الذي انقلب عليه أردوغان، ويصنف من قبله باعتباره معارضا، فيما يصنف الحزب أردوغان باعتباره مُقرطاً، وهذا النشاط يتم ضمن سلسلة من أنشطة تنظيمية تتولى إدارتها "جمعية شباب الأناضول" التابعة للحزب.

هذه الخلفية، المسكوت عنها إخوانياً، لا تنفي أن حزب السعادة التركي، أحد الأحزاب الممثلة لتطور الحضور السياسي للإخوان في تركيا، وتعود المرجعية في تأسيسه للقيادي الإخواني الراحل نجم الدين أربكان، المعلم الأول للرئيس التركي الحالي، ويعتبر السعادة غريماً حالياً لحزب العدالة والتنمية. مثلما هتف ممثلو الحزب في ساحات السعي بين جبلي الصفا والمروة بالحرم المكي، هتفوا في ساحات تركيا معتمرين أن أردوغان لا يمثل الحركة الإسلامية. يمكن إعادة قراءة مشهد المعتمرين، بما يمنح الصورة أبعاداً أكثر عمقا، ويجعل من الخطأ والقصور توصيف الفعل كتصرف طائش من معتمرين أتراك، ويجب وزنه بحسب بواعثه باعتباره فعلاً تنظيمياً يقبل باستخدام المقدسات مثلما يقبل بسحق النفس وتغيب العقول مغلفاً فعله بثوب ديني.

يجدر التنكير بأنه قبل أشهر قليلة، تحديداً في مايو الماضي، كان معتمرو الإخوان

عبدالجليل الشرنوبلي
كاتب مصري

يحاول تنظيم الإخوان نقل فكر مقاطعة الحج والعمرة من بعده الداخلي، إلى دعوات عامة دون شعور بالخل من التناقض بين مسالتي المقاطعة والتوظيف السياسي، وتُسوق الأذرع الإعلامية المختلفة تقريرا مدعوماً بفيديو من عدة شوا، عنوانه "معتمرون أتراك يهتفون للأقصى في الحرم المكي".

تصدر العنوان بعض وسائل إعلام تنظيم الإخوان، ومثله وسائل الإعلام التركية، وكلاهما يتناول الحدث باحتفاء شديد، بالترويج لأن الفعل انتصار للقضية الفلسطينية ونصرة للمسجد الأقصى من قبل الشعب التركي الذي يتحرك بهدي رئيسه وجب طيب أردوغان، دون توقف عند حجم التناقضات التي يحملها هذا الفعل المسيء.

تعيد هذه الحادثة إلى الأذهان ما قامت به إيران في بعض مواسم الحج، حيث اعتادت توظيف الشعائر الدينية في خدمة أهدافها السياسية دون اعتبار لطبيعة المكان الذي تظاهر فيه إيرانيون شيعة لنصرة نظامهم الحاكم أولاً. تعود الأروغانية في المواقف من الدولة السعودية وغيرها من أنظمة صُنفت بالمعادية إلى طبيعة البناء الديني الذي يولد مستويات مُتعددة لصياغة الخطاب، ومواقف متباينة في إعلانه بحسب الملتقى، فيما يظل الموقف الثابت من الأقطار والنظم الحاكمة هو استهدافها تمكينا في الحالة الإخوانية-التركية، وتصديراً للثورة الإسلامية في الحالة الإيرانية. بالتوازي مع التوجيه التنظيمي القاعدي للشعائر تتحرك أدوات أهداف أخرى عنوانها، الضخ السياسي والإبتزاز العاطفي وإحراج الأنظمة المعادية، وليس شرطاً لتنفيذ وسائل هذا الهدف أن يتصدر التنظيم مشهده.

وجه تنظيمي للمعتمرين

هنا تكمن خطورة تنوع اللافات النامية عن نفس المشروع المستعمر للدين سياسياً، فبحرك التنظيم الشعبي الإيراني أنزعه في الخارج (حزب الله- الحوثي- الحشد- الميليشيات)، ويؤكد طيلة الوقت أنه غير مسؤول عن أدائها، ومثله يتحرك تنظيم الإخوان مُطلقاً من قاعدة "تفويض الغير" التي تفتح الباب لإعادة إنتاج مقولة المؤسس حسن البنا "ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين". وهو ما يفسره نموذج المعتمرين المنتهين إلى حزب السعادة الذي نبت من أرضية التنظيم الإخواني، ورغم صراعه القديم مع حزب العدالة والتنمية على صدارة مشهد التمكين التركي، إلا أن قواعده يُمكنها أن تتحرك في الدوائر التي لا تحرج حزب الرئيس، ويتم توجيهها للعمرة مثلاً، ومطالبتها بما يُسميه التنظيم "تعدد النوايا" لتكون نواياها الغُمره ونصرة القضية الفلسطينية.

يرجع التوسع في تسييس الشعائر الدينية ورفع شعارات بالوعيد والتهديد إلى رغبة إيران في توصيل رسائلها للملايين من المسلمين، وأنها لم تتقاسم وتدافع عن مصالحهم، في خصم النيل من السعودية التي لم تكف طهران على محاولة سلبها مكانتها الدينية.

يبدا أن تركيا تميل إلى تكرار المشهد نفسه، ربما اختلفت الحسابات السياسية بين الحالتين، لكنها تؤكد أن هناك مرجعية واحدة للحركة تحكم تصرفات طهران وأنقرة، وتتمثل في استثمار الدين سياسياً، بما يعظم حضور الدولتين في محيطهما الإقليمي والإسلامي والدولي، ويؤهلها لخطف الزعامة الدينية من السعودية. ولذلك حملت التظاهرة المحسودة في الحرم المكي مؤخرًا قدراً كبيراً من الدلالات التي يمكن أن تكون مقدمة للمزيد من التداعيات.

في عقيدة تنظيمات الدين السياسية، سنية أو شيعية، لا يوجد مقدس إلا



توظيف الشعائر الدينية